تاريخ البيمارستانات

فى العهد الاسلامى

بقلم الدكتور أحمد بك عيسى

— ٧ —

بيمارستان جنديسابور

هذا البيمارستان كان من أكبر البيمارستانات فى العصر السابق على الاسلام بثلاثة قرون الى عهد الخلفاء العباسيين ، حين ابتدأ المسلمون ينشئون البيمارستانات والمدارس فى بلادهم وأمصارهم التى افتتحوها.

وجنديسابور مدينة بخوزستان ـ ويقال له الخوز ـ وهو إقليم واسع بين البصرة وفارس ، بناها سابور الأول الساسانى بن ازدشير فى القرن الثالث بعد الميلاد ، وأسكنها سبى الروم الذين وقعوا فى أسره أثر حربه مع الامبراطور الرومانى أورليان ، OURELIEN وطائفة من جنده ، ثم افتتحها المسلمون صلحاً فى سنة ١٧ هـ (٦٣٨م) فى أيام عمر بن الخطاب الخليفة الثانى ، فتحها أبو موسى الأشعرى عقب احتلاله تستر. وجنديسابور مدينة خصبة كثيرة الخير وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه ، ومنها إلى تستر ثمانية فراسخ وإلى السوس ستة فراسخ ، وتسمى بالسريانية بيت لاباط ، ثم حرفت الى بيل آباد . قال ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٨م) اجتزت بها مراراً ولم يبق منها عين ولا أثر إلا مايدل على شىء من آثار بائدة .

وقد اشتهرت هذه المدينة بمدرستها الطبية التى أنشأها كسرى الأول ، وجلب اليها المعلمين من يونان فكانت تلقى فيها التعاليم اليونانية باللغة الآرامية ، واشتهر مع هذه المدرسة بيمارستانها العظيم ، ودامت شهرتهما الى زمن الخلفاء العباسيين ، بما تخرج منهما من الأطباء والعلماء الذين برزوا فى الفضائل . قال ابن القفطى : « إن أهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة وعلم من زمن الأكاسرة ، وذلك سبب وصولهم إلى هذه المنزلة » ثم قال : « ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ، ويتزايدون فيه ، ويرقبون العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل ، وجماعة منهم يفضلون علاجهم وطريقهم على اليونان والهند ، لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم ورتبوا لهم دساتير وقوانين وكتبا جمعوا فيها كل حسنة حتى أنه فى سنة عشرين من ملك كسرى اجتمع أطباء جنديسابور بأمر

الملك ، وجرى بينهم مسائل وأجوبتها ، وأثبتت عنهم ، وكان أمراً مشهوراً ، وكان واسطة المجلس جبريل درستياذ ، لأنه كان طبيب كسرى، والثانى السفسطائى وأصحابه ويوحنا وجماعة من الأطباء ، وجرى بينهم من المسائل والتعريفات ما إذا تأملها القارىء لها استدل على فضلهم وغزارة علمهم ؛ ولم يزالوا كذلك حتى ولى المنصور الخلافة ، وبنى مدينة السلام فعرض له مرض فاستدعى منهم جورجيس بن بختيشوع الخ)، ولقد كانت مدرسة جنديسابور وبيمارستانها المنهل الصافى والمنبع الغزير للطب والأطباء زمناطويلا حيث كانت سوريا والعراق وفارس تستمد، أطباءها من بين طلبتها الذين كانوا يؤمونها من كل حدب وصوب.

وحينما ظهرت الملة الاسلامية لم يتأخر المسلمون عن استخدام الاطباء المتخرجين من بيمارستان جنديسابور .

فاستطب النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم من بعده، الحارث بن كلدة الثقفى، وابنه النضر بن الحارث بن كلدة من أطباء العرب الذين استمدوا علومهم من جنديسابور.

واستطب خلفاء بنى أمية ابن آثال الطبيب النصرانى الجنديسابورى ، اصطفاه لنفسه معاوية ابن أبى سفيان أول خلفاء بنى أمية، وأبا الحكم وحكم الدمشقى وتياذوق وغيرهم كثيرون.

ومن أطباء بيمارستان جنديسابور المتميزين الذين خدموا الدول الاسلامية، وكانت لهم يد فى نهضة العرب تذكر :

١ — جورجيس بن بختيشوع الجنديسابورى :

كان رئيس أطباء جنديسابور ورئيس البيمارستان بها، وكان فى صدر الدولة العباسية ، وله خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج ، خدم المنصور بصناعة الطب ، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة ، ونال من جهته أموالا جزيلة ، ونقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربية . إن أول ما استدعى الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس لجورجيس، هو أنه فى صدر أمره عند ما بنى مدينة السلام بغداد فى سنة ١٤٨ للهجرة، أدركه ضعف فى معدته وسوء استمراء، وقلة شهوة، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه فتقدم إلى الربيع فى طلب طبيب ماهر، فأجمع الأطباء على فضل جورجيس بن بختيشوع، فتقدم المنصور باحضاره فأنفذه عامل جنديسابور ، ووصى جورجيس قبل خروجه من جنديسابور ولده بختيشوع بالبيمارستان، واستحضر معه عيسى بن شهلافا فتقبله الخليفة أحسن القبول وأمر بانزاله فى أجل موضع من دوره، وأكرمه كما يكرم أخص الأهل، وأخبره بابتداء علته ، وكيف جرى له منذ ابتداء المرض وإلى وقته ذلك ، ولم يزل جورجيس يتلطف له فى تدبيره حتى برىء المنصور، وعاد إلى

الصحة ، وفرح به فرحا شديدا، وأمر أن يجاب إلى كل مايسأل.

ولما كان فى سنة ١٥٢ مرض جورجيس مرضاً صعباً ،وكان المنصور يرسل إليه فى كل يوم يتعرف خبره ، ولما اشتد مرض جورجيس،أمر به الخليفة فحمل على سرير إلى دار العامة ،وخرج الخليفة ماشيا اليه ،وسأله عن خبره ،فبكى جورجيس بكاء شديدا ،وقال له: إن رأى أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — أن يأذن لى فى المصير إلى بلدى لأنظر إلى أهلى وولدى ،وإن مت قبرت مع آبائى ، فأمر الخليفة أن يخرج جورجيس إلى بلده، وأن يدفع إليه عشرة آلاف دينار ، وأنفذ معه خادما،وقال: إن مات فى طريقه،فاحمله الى منزله ليدفن هناك كما آثر،فوصل إلى بلده حياً، وله من الكتب كناشه المشهور،ونقله حنين بن اسحاق من السريانى إلى العربى.

٢— بختيشوع بن جورجيس :

ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن فى اللغة السريانية البخت العبد،ويشوع عيسى عليه السلام، وكان بختيشوع يلحق بأبيه فى معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها ، وكان بختيشوع مقيما بجنديسابور والمارستان نيابة عند غيبة أبيه فى معالجة المنصور إلى أيام المهدى،ومرض ولده الهادى ابن المهدى فاستدعى بختيشوع من جنديسابور،فمات موسى الهادى قبل قدوم بختيشوع،فأعيد مكرما الى جنديسابور، فأقام على حالته فى تدبير البيمارستان هناك،ولم يزل على ذلك إلى سنة ١٧١ هـ فرض الرشيد من صداع لحقه، فطلب من يحيى أن يستحضر له بختيشوع من جنديسابور،فدخل على الرشيد فأكرمه،وخلع عليه خلعة سنية،ووهب له مالا وافراً،وجعله رئيساً على كافة الأطباء.

ولبختيشوع من الكتب : (١) كناش مختصر، و كتاب التذكرة ألفه لابنه جبريل .

٣— ابراهيم تلميذ جورجيس :

لما استدعى جورجيس بن بختيشوع إلى الخليفة المنصور ليطبه أخذ معه تلميذه ابراهيم ومعه عيسى بن شهلافا، وترك عيسى صهار بخت مكانه بالبيمارستان بجنديسابور مقيما.

٤— سرجيس تلميذ جورجيس بن بختيشوع :

أراد جورجيس أن يستصحبه حين استدعاه المنصور،ثم عاد فتركه لتدبير البيمارستان فى غيبته.

٥— عيسى بن شهلافا الجنديسابورى ، تلميذ جورجيس بن بختيشوع:

عند ما دعا الخليفة المنصور إليه جورجيس بن بختيشوع ليطبه استصحب معه تلميذه عيسى ابن شهلافا . ولما مرض جورجيس واستأذن فى العودة الى بلده جنديسابور خلف تلميذه هذا فى خدمة المنصور، فأمر المنصور باحضار عيسى بن شهلافا ؛ فلما مثل بين يديه سأله عن أشياء فوجده ماهراً،فبدأ عيسى يبسط يده فى التشاور والأذية خاصة على الأساقفة والمطارنة ومطالبتهم بالرشى،وأخذ أموالهم،وكان فيه شراهة وطمع ؛فلما وقف الخليفة المنصور على حقيقة أمره،أمر بأخذ جميع مايملكه عيسى المتطبب وتأديبه ونفيه.

٦ — جبريل بن بختيشوع بن جورجيس:

كان طبيبا حاذقا نبيلا، خدم الخليفة هارون الرشيد ثلاثة وعشرين سنة، وخدم من بعده محمد الأمين، ثم الخليفة المأمون فى سنة ٢١٠هـ ٨٢٥م.

ثم مرض مرضا شديداً ومات سنة ٢١٣هـ ٨٢٨م ولجبريل بن بختيشوع من الكتب رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب. وكتاب المدخل إلى صناعة الطب وكتاب الباه. ورسالة مختصرة فى الطب. وكناش. وكتاب فى صنعة البخور

٧ — بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع.

كان سريانيا نبيل القدر، وبلغ من عظم المنزلة والحال، وكثرة المال، مالم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا فى عصره، خدم الخلفاء الواثق بالله بن المعتصم ثم المستعين بالله بن المعتصم والمهتدى بالله ابن الواثق، سخط عليه الواثق ونفاه إلى جنديسابور فى سنة ٢٣٠، وبعد موت الواثق خدم الخليفة المتوكل على الله، فصلحت حاله بعد ذلك فى أيامه حتى بلغ فى الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة ومباراة الخلافة فى الزى واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسح والبذخ فى النفقات، مبلغا يفوق الوصف، وكان موته يوم الأحد لثمان بقين من صفر سنة ٢٥٦هـ ٨٧٠ م، وله من الكتب: كتاب فى الحجامة على طريقة المسألة والجواب.

٨ — سابور بن سهل:

كان ملازما لبيمارستان جنديسابور ومعالجة المرضى فيه، وكان فاضلا عالما بقوى الأدوية المفردة وتركيبها، خدم المتوكل ومن تولى بعده من الخلفاء، وتوفى فى أيام المهتدى بالله وكانت وفاته فى يوم الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة سنة ٢٥٥ هـ، ولسابور بن سهل من الكتب: كتاب الأقراباذين الكبير جعله سبعة عشر باباً، وهو الذى كان المعمول به فى البيمارستان، ودكاكين الصيادلة، وخصوصا قبل ظهور الأقراباذين الذى ألفه أمين الدولة بن التلميذ وكتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها، وكتاب الرد على حنين. والقول فى النوم واليقظة، وكتاب إبدال الأدوية.

٩ — ماسوية أبو يوحنا:

كان تلميذا فى بيمارستان جنديسابور، أقام به أربعين سنة يعمل فى دق الأدوية، إلى أن عرف الأدواء داء داء، وما يعالج كل داء، وهو أعلم أهل زمانه بانتقاد الأدوية واختيار جيدها ونفى رديئها؛ ولما أخرجه أبو عيسى جبريل صاحب بيمارستان جنديسابور من البيمارستان عكف على معاناة التطبيب إلى أن اتصل بالفضل بن يحيى، فأحسن لقاءه، وأجرى عليه، وأعطاه نفقة واسعة، وأوصله الفضل بعد ذلك بالخليفة هرون الرشيد، فأجرى عليه الرزق

ووسع عليه بالنفقة، وألزمه الخدمة فى بيته واتخذه طبيبا له فبلغ المرتبة المشهورة ؛ وتوفى بسامرا سنة ٢٤٣هـ ٨٥٧م.

١٠ — دهشتك

كان رئيساً لبيمارستان جنديسابور، فأمر الرشيد جبريل بن بختيشوع باتخاذ بيمارستان ، فأحضر جبريل دهشتك من بيمارستان جنديسابور لينقلد البيمارستان الذى أمر الرشيد باتخاذه ، فامتنع دهشتك من ذلك ، وذكر أنه ليس للسلطان عنده أرزاق جارية عليه ، وانه إنما يقوم ببيمارستان جنديسابور وميخائيل ابن أخيه حسبة، وتحمل بطيانيوس الجاثليق فى إعفائه وإعفاء ابن أخيه، فأعفاهما ورسم بدلا منهما سويه.

١١ — ميخائيل بن أخى دهشتك

كان مقيما ببيمارستان جنديسابور مع عمه دهشتك يعمل حسبة ، وكان جبريل بن بختيشوع قد دعاه لتقلد البيمارستان الذى أمر الرشيد باتخاذه ببغداد فامتنع مع عمه دهشتك .

١٢ — عيسى بن طاهر بخت :

طبيب من أهل جنديسابور له ذكر فى وقته وتقدم فى زمانه ومصنفات فى الطب، وهو تلميذ جورجيس بن بختيشوع الطبيب ، ولما طلب الخليفة المنصور جورجيس بعد رجوعه إلى جنديسابور كان مريضا وعوفى من مرضه اعتذر عن ذلك، وتقدم إلى عيسى هذا بالمضى إلى المنصور فامتنع ؛ فسمى عوضه تلميذه إبراهيم، وبقى عيسى هذا بالبيمارستان بجنديسابور مقيما .

هؤلاء هم أشهر أطباء جنديسابور الذين تحققت أخبارهم، على أن غيرهم كان كثيرا يعمل فى بيمارستان جنديسابور ، ولم تصل الينا أخبارهم ، وقد خدموا الخلفاء والملوك والأمراء ، فكانت لهم الحظوة والتقدم ورفعة المنزلة ، وكانوا عاملا قويا فى النهضة العربية ؟

احمد عيسى

(انتهى)

واجبك ..! هل أديته ؟..

إنك ستؤديه بلا ريب...

أيها الشباب المثقف ..!

إن مجلة « المعرفة » سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة ، وهى المجلة المصرية التى يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم، فليكن تعضيدكم إياه .. مشجعاً له ولغيره على إحياء القومية المصرية

هـــــــذا واجبكم فأدوه